تقديم مركز نهوض للدراسات والبحوث

أصبح الدين منذ منتصف القرن التاسع عشر موضوعًا جوهريًّا في مجالات الدراسات الإنسانية والاجتماعية، كما يظهر في علوم الاجتماع والنفس والأنثروبولوجيا وغيرها. ومع ترسيخ النزعة الوضعية في بنية هذه العلوم، التي سعت إلى تكميم الظواهر الإنسانية ورصدها بوسائل وأدوات إحصائية متنوعة، عظمت الحاجة اليوم إلى إجابة جملة من التساؤلات: هل يمكن قياس الدين؟ وهل الأدوات المستخدمة في قياس الظواهر الدينية دقيقة؟ وهل من مساحات دينية تتعطل فيها الأدوات البحثية؟ وما الانتقادات الموجَّهة إلى المناهج الإنسانية والاجتماعية في دراسة الدين وقياسه؟ وكيف يمكن تطوير منهجيات جديدة ومتعدِّدة الأبعاد لقياس الدين؟

من أجل ذلك، تتضح الحاجة إلى كتاب جامع يجيب التساؤلاتِ آنفةَ الذكر بإجابة منهجية وعلمية. ويُعَدُّ كتاب «**مقاييس التديُّن**»، الذي حرَّره روجر فينكي وكريستوفر بايدر، ويُقدِّمه **مركز نهوض للدراسات والبحوث** مترجمًا إلى العربية، يُعَدُّ مصدرًا خلَّاقًا لفهم التحديات التي تواجه دراسة الدين في القرن الحادي والعشرين، وكيفية مواجهتها بطرائق مبتكرة؛ إذ يسلط الضوء على الجهود المشتركة للعلماء والباحثين في مختلف المجالات، كعلماء الاجتماع والنفس والأنثروبولوجيا وعلماء البيانات والإحصاء، في تطوير منهجيات جديدة ومتعدِّدة الأبعاد لقياس الدين.

يُقدِّم الكتاب رؤيةً نقديةً للأساليب التقليدية المستخدمة في دراسة الدين، مشيرًا إلى صعوبة تطبيقها على موضوع معقَّد وحسَّاس مثل الدين. وبدلًا من ذلك، يعرض بدائل مبتكرة، مثل: استخدام البيانات الضخمة، وتقنيات التحليل الحديثة لفهم الدين فهمًا أعمق وأكثر شمولًا. ويبيِّن الكتاب -بدراسة الحالات والأمثلة العملية- أن التحديات التي تواجه الباحثين في تطوير هذه الأساليب وتنفيذها تستحقُّ الجهد،

كما توفر فرصًا لتعزيز فهمنا للدين في العصر الحديث. وبالإضافة إلى ذلك، يوضِّح الكتاب كيفية الوصول إلى الموارد الرقمية واستخدامها بكفاية، مُسهِمًا في تقديم رؤى جديدة وأفكارٍ للتفاعل البحثي في مجال دراسة الدين.

ينتظم الكتاب في قسمين كبيرين، ينطوي كلٌّ منهما على ستة فصول. فتناولت فصول **القسم الأول** جملة من القضايا، مثل: تأثير الهوية الدينية، والرغبة في عرض الذات المثاليَّة لا الواقعيَّة، وتحيزات الاستحسان الاجتماعي في استجابات الاستطلاعات الدينية، وكيفية تلافي ذلك بجمع البيانات المتسلسلة، مثل: اليوميات الزمنية، ومراجعة أدوات القياس والمفاهيم المركزية في سيكولوجيا الدين والروحانية، واستخدام المقاييس الضمنية للدين، التي تُعمل طرائق المعاني المتداعية والاختبارات السريعة متجاوزة في الآن ذاته مقاييس التقرير الذاتي المعيارية (الاستبيانات)، والنظر في مقاييس الدين بوساطة أداة «التعهيد الجماعي»، وتقييم قياسات المسح باستخدام معالج القياس الخاص بجمعية أرشيف البيانات الدينية، واستخدام نموذج الخطأ الكُليّ للمسح لتحسين البحوث عبر الوطنية حول الدين.

ويستكشف **القسم الثاني** طرائق وأدوات بحثية مثيرة في البحث الديني، بدءًا من توظيف المستندات المختلفة، كالوثائق الحكومية وأرشيف الصحف والمواقع الإلكترونية وغيرها، في دراسة الدين والمنظمات الدينية وأهميتها في تقديم بيانات مهمَّة، مرورًا بتوضيح طرائق جمع البيانات التاريخية، والمشكلات العديدة في استخدام المصادر على الإنترنت؛ لتكوين صورة متماسكة للماضي، والتمثيل على ذلك بدراسة جماعة دينية مشهورة من القرن التاسع عشر (جماعة أونايدا)، والتحديات والحلول لدراسة المنظمات الدينية غير الحكومية. وينتهي الكتاب بالتركيز على إمكانات أدوات جوجل (Google Books – Ngram Viewer) وأمازون (رسم خريطة شبكة القراءات الدينية والروحية بتتبُّع عمليات شراء الكتب المشتركة من أمازون)، واستخدام طريقة أخذ العينات المعتمدة على الهاتف الذكي لدراسة الدين والروحانية.

وختامًا، يمكن تلخيص أهداف هذا الكتاب في هدفين رئيسين: **الأول** تحسين المنهجيات السائدة المستخدمة في الدراسة العلمية للدين، **والثاني** استكشاف استخدام بعض المناهج الجديدة في تلك الدراسة. لذلك تحسن قراءة هذا الكتاب من قِبَل المهتمين بالدراسة العلمية للدين؛ إذ يغطي تقاطع الدين والمناهج الإحصائية والتكنولوجيا الحديثة، ويوفر طرائق مبتكرة لقياس السلوكيات والمعتقدات الدينية، ويشرح طريقة استخدام هذه التقنيات الجديدة في البحث عن الدين في بيئات مختلفة متباينة الثقافات، ولا تنحصر فائدة الكتاب في علماء الاجتماع الديني، بل قد ينتفع منه أيضًا الباحثون في حقول الدراسات الإنسانية والاجتماعية؛ إذ تحسن الإشارة إلى أن الكتاب يمكن تطبيق أفكاره الجديدة وقِيَمه المبثوثة على المواضيع الفرعية في علوم النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا، وإن كان موقوفًا على دراسة منهجيات البحث الإحصائي المتعين في الدين.

يأتي هذا الكتاب في سياق الإسهامات العلمية والبحثية التي يُقدِّمها **مركز نهوض للدراسات والبحوث** في سياقين: علاقة الدين بمختلف مجالات الفكر الإنساني، والاهتمام بمناهج البحث وأصول البحث العلمي. ففي السياق الأول قدَّم المركز كتاب كيلي جيمس كلارك «**الدين وأصل الكون والحياة**» لدراسة العلاقة بين الدين والعلم، وفي العلاقة بين الدين وعلم النفس أصدر المركز الترجمة العربية لكتاب ويليام جيمس «**تنويعات التجربة الدينية**»، وفي سياق العلاقة بين الدين والأنثروبولوجيا أصدر المركز كتاب آريا نكيسا «**أنثروبولوجيا الفقه الإسلامي**». وأما في سياق الاهتمام بمناهج البحث وأصول البحث العلمي، فقد أصدر المركز مؤخرًا **سلسلة مداخل منهجية في العلوم الإنسانية**، ومنها كتاب «**مناهج البحث في العلوم الاجتماعية**»، ومن قبله صدر كتاب ساري حنفي «**علوم الشرع والعلوم الاجتماعية: نحو تجاوز القطيعة**». والمركز بصدد إخراج مشروع «**المقاييس الضمنية الدينية: سؤال التطابق الديني في العالم العربي**» ضمن مساعيه العلمية والبحثية في إمداد الثقافة العربية بكل جديد نافع.